الفصل الثالث

مفهوم النظرية التربوية

عند باولو فريرى

obeikandl.com

obeikandl.com

نعالج في هذا الفصل مفهوم النظرية التربوية ، وتسير هذه المعالجة وفقاً للخطوات التالية:

أولاً : عرض تعريفات النظرية من وجهة نظر المفكرين على اختلاف تخصصاتهم بصفة عامة ؛ بغرض استقراء السمات المشتركة بين هذه التعريفات ، وصولاً إلى شروط النظرية الجيدة في العلوم الطبيعية .

ثانياً : الانتقال من مفهوم النظرية بوجه عام إلى مفهوم النظرية التربوية بوجه خاص ، مع بيان مضمون هذا المفهوم من وجهة نظر بعض المفكرين الذين لهم اهتمامات بالتربية ، وانتهاءاً إلى تبنى مفهوم﴿مور﴾ للنظرية التربوية ، وعرض مبررات هذا الاختيار .

ثالثاً: توضيح بنية النظرية التربوية عند مور وعلاقتها بالفلسفة ، والتي يتوافق مع مفهوم فريري للنظرية التربوية .

رابعاً : بيان موقع النظرية التربوية عند فريري ، من خلال مقولات فريري كما عرضها في كتاباته ، والدراسات التي قام بها مفكرون لتؤكد وجود نظرية تربوية عند باولو فريري كما تجلت في تلك الكتابات .

اولاً : مفهوم النظرية

في بداية هذا الفصل هناك نقطة هامة لابد من تقريرها ، فلفظ نظرية غالباً ما يساء استخدامه للإشارة إلى مصطلحات مثل: وجهة نظر ، اتجاه ، رأي، وعندما يسيء الناس استخدام لفظ نظرية فإنهم يخطئون عندما يضفون على تلك المصطلحات الأخرى صلاحيات يجب أن يحتفظ بها لمعنى أكثر صدقاً ودقة للنظرية ، إن خطوات التقدم الكبرى في العلوم قد صنعها بناء النظرية أكثر مما صنعها التجريب ؛ بسبب هذه الوظيفة المولدة للتنظير ، ولعل أحد الأشياء التي تميز النظرية الناضجة والشاملة هو تطوير نظريات فرعية أخرى[1].

وأي باحث ، في أي علم من العلوم ، لا غنى له عن نظرية توجهه في جمعه للوقائع المتعلقة بالظاهرة ، أو بالموضوع الذي يدرسه أو تفسيره أو تحليله ، وعلى خلاف المنهج العلمي ، فإن نظرية أي علم كعلم النفس ، أو التربية ، أو الاجتماع أو غيرها من العلوم

---

(1) جورج بوشامب : نظرية المنهج ، ترجمة/ محمود محمد سليمان ، و آخرون ، القاهرة ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ص٢٥-٤٠

الإنسانية ، هي التي تحدد موضوعه وتنظم عملياته وأدواره ، بل ومساره . ونتيجة لهذه الأهمية ، شغل معنى النظرية وشروطها ومكوناتها ووظائفها عدداً غير قليل من فلاسفة العلم ، والمشتغلين بمناهج البحث ، والمتخصصين في كل فرع من فروع العلم الإنساني .

ويؤكد بعض المتخصصين في الدراسات الاجتماعية أن النظريات ، أو المبادىء تمثل أعلى درجات التجرد المعرفي ، و أكثرها بُعداً عن البيانات ، أو المعلومات التي اعتمدت عليها في الأساس[٢] . يرتبط تقدم التربية دائماً بوضوح البناء النظري لها ، والسلامة المنطقية للأطر التصورية التي توجه أبحاثها ، ويكاد يجمع العلماء على وجوب بروز دور النظرية في قيادة البحث التربوي ، وذلك لأهمية النظرية في تحديد ميادين الدراسة في مجال التربية ، وتلخيص الوقائع ، وتحديد أوجه النقص في معرفتنا التربوية[٣] .

ولكي نفهم طبيعة النظرية التربوية ينبغي أن نفهم ماهية النظرية بصفة عامة ، وهذا أمر بالغ التعقيد ، ولكننا سوف نحاول قدر المستطاع أن نعطي تعريفاً للنظرية بصفة عامة ثم نعطي تعريفاً للنظرية التربوية استناداً إلى ما ورد في المعاجم.

(أ) تعريفات النظرية:

١ - يذكر معجم مقاييس اللغة[٤] : نظر﴿النون والظاء والراء﴾ أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد ، وهو تأمل الشيء ، ومعاينته ، ثم يستعار ويتسع فيه - فيقال : نظرت إلى الشيء أنظر إليه إذا عاينته .

٢ - وجاء في المعجم الوسيط[٥] أن النظرية :

[أ] قضية تثبت ببرهان .

[ب] في الفلسفة : طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية .

[ج] نظرية المعرفة : البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع ، أو بين العارف والمعروف ، وفى وسائل المعرفة: فطرية أو مكتسبة .

٣ - و في المعجم العربي الميسر[٦] :

---

(2) جودت أحمد سعادة: مناهج الدراسات الاجتماعية، لبنان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥٤

(3) حسن إبراهيم عبد العال : نحو نظرية إسلامية للتربية ، مجلة التربية المعاصرة ، العدد السابع و العشرون ، السنة العاشرة ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، يونيو ، ١٩٩٣ ، ص١١.

(4) أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا : معجم مقاييس اللغة ، الجزء الخامس ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص٤٤٤.

(5) إبراهيم أنيس، وآخرون : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص٩٩٢

(6) أحمد زكى ، وآخرون : المعجم العربى الميسر ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٩١ ، ص ٧٢١ .

[أ] نظرية – ج نظريات- رأى ، أو اجتهاد ، يدلى به أحد العلماء ، ويحاول إثباته بالبراهين﴿مثل نظرية النشوء والارتقاء لداروين ، ونظرية النسبية لإينشتين﴾.

[ب] (في الهندسة) قضية تحتاج إلى برهان لإثبات صحتها .

٤ – وجاء في المعجم الوجيز[٧] : أن النظرية جملة القوانين التي يرتبط بعضها ببعض ، وتحاول أن توضح الظواهر والأشياء ، مثال : نظرية المعرفة – نظرية تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية ، وطبيعتها ، ومصدرها ، وقيمتها ، وحدودها .

٥ – و في معجم العلوم الاجتماعية[٨]: أن المصطلح الأجنبي مشتق من اللفظ اليوناني Theoria بمعنى يدرك ، والمعنى التقليدي لهذا المصطلح هو أن النظرية مجموعة من المعرفة العقلية الخالصة المرتبطة منهجياً ، ومنطقياً ، وذلك في مقابل التعميمات التجريبية ، أما المعنى الأكثر دقة ، وحداثة ، فهو أنها مجموعة من القوانين العلمية ومن المبادئ والقضايا العامة المرتبطة ارتباطاً منهجياً ، والتي تتناول بالتفسير ، والتحليل ، ظواهر ، وحقائق مترابطة ، ومتصلة بموضوع ما ، كما تتناول بتلك تفسير التعميمات التجريبية المتصلة بهذا الموضوع ، بحيث يمكن عن طريقها الاستدلال على حقائق تجريبية أخرى يمكن إخضاعها للتحقيق العلمي ، وقوانين التنبؤ في ضوء هذه النظرية .

٦ – ويذكر المعجم الفلسفي[٩] معنى النظرية كالآتي : النظرية في الفرنسية Théorie وفى الإنجليزية Theory وفى اللاتينية Theoria قضية تثبت ببرهان ، وهى عند الفلاسفة تركيب عقلي ، مؤلف من تصورات منسقة ، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ .

١- فإذا أطلقت النظرية على ما يقابل الممارسة العملية في مجال الواقع دلت على المعرفة الخالية من الغرض ، المتجردة من التطبيقات العملية .

٢- وإذا أطلقت على ما يقابل العمل في المجال المعياري دلت على ما يقوم به معنى الحق المحض أو الخير المثالي المتميز عن الالتزامات التي يعترف بها جمهور الناس .

---

[٧] المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الشباب ، ١٩٩٢ ، ص ٦٢٣.

[8] معجم العلوم الاجتماعية : إعداد / نخبة من الأساتذة المصريين العرب المتخصصين ، مراجعة /إبراهيم مدكور، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٦٠٨.

[9] جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني ، لبنان ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ ، ص ص ٤٧٧ – ٤٧٨.

٣- وإذا أطلقت على ما يقابل المعرفة العامية دلت على ما هو موضوع لتصور منهجي منظم ومتناسق تابع في صورته لبعض الموضوعات العلمية التي يجهلها عامة الناس .

٤- وإذا أطلقت على مقابل المعرفة اليقينية دلت على رأى أحد العلماء أو الفلاسفة في بعض المسائل الخلافية (مثال ذلك نظرية الخطأ عند ديكارت)

٥- وإذا أطلقت على ما يقابل الحقائق العلمية الجزئية دلت على تركيب عقلي واسع يهدف إلى تفسير عدد كبير من الظواهر .

٧ - ويعرفها محمد عاطف غيث[١٠] : بأنها مجموعة مبادئ و تعريفات مترابطة تفيد تَصَوُراً ما في تنظيم جوانب مختارة من العلم الأمبريقي على نحو منسق ومنتظم ، ولهذا تنطوي النظرية على مجموعة دعاوى و بديهيات أساسية ، إذا كان هيكلها مكوناً من قضايا مترابطة منطقياً وقابلة للتحقيق الأمبريقي .

٨ - ويعرف سمير نعيم[١١] النظرية : بأنها نسق من المعرفة المعممة ، تفسر الجوانب المختلفة للواقع ، وتختلف النظرية العلمية عن غيرها من النظريات في أنها تخضع للتحقق من صدقها عن طريق الملاحظة الإمبريقية (التجريبية) ، وتمثل النظرية أعلى درجة من درجات التجريد Abstraction والتعميم Generalization في العلم ، وتفسر النظرية القوانين ، تماماً مثلما تفسر القوانين الوقائع Facts ، التي تمت ملاحظتها وتوجد العلاقة بينها . كما أنها تساعد العلماء في نفس الوقت على اكتشاف قوانين جديدة ، أو وضع فروض لاختبار صدقها .

٩ - ويعرف كلير و كيلر[١٢] Clair W&Keller النظرية : بأنها تنظيمات من التعميمات والمفاهيم التي تكون على علاقة مع بعضها بعضاً ، إنها الأفكار المعقدة التي تتكون من عدد من الأفكار الأقل ترابطاً تعمل على تجميع أجزاء المعرفة التي تشكل معاً وحدة ذات معنى .

١٠ - ويعرف كل من ايمانويل – ج ـ ماسون[١٣] Emanuel. J. Mason وويليم – ج – برامبل William. J . Bramble النظرية : بأنها مجموعة من الصيغ التي تصمم

---

(10) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٩ ، ص ٤٨٦.

(11) سمير نعيم أحمد : النظرية في علم الاجتماع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩.

(12) Clair; w.,& Keller,T (1974). Involving Students In the New Social Studies, Little Brown & Company, Boston, ,pp.11-12.

(13) Emanual;J., Mason & Bramble, William,J., (1997). Research in Education and Behavioral Sciences , Concepts and Methods, Brown & Benchmark Publishers,Chicago,p.69

لتفسر وتتنبأ بالحقائق والأحداث التي يمكن ملاحظتها ، وهذه الصيغ ربما تشتمل على حقائق أمبريقية و تعريفات وأهداف متعلقة بطريقة لها مغزى إلى حد ما ، لتسهيل التفسير والتنبؤ بالظاهرة التي يتم ملاحظتها .

١١ - و يعرفها أحمد زكى بدوي[١٤]: بأنها عبارة عن إطار فكرى يفسر مجموعة من الفروض العلمية ويضعها في نسق علمي مترابط ، وبناء النظرية العلمية يعتمد على جهد عقلي تركيبي من جانب الباحث يتميز بالنظرة الكلية إلى الحقائق الجزئية ، ويحرص على تنظيم الأجزاء في نطاق كلى موحد ، ولذا تعتبر دائماً أعلى مستويات المعرفة .

١٢ - ويعرف نبيه محمد حموده[١٥] النظرية بأنها : عبارة عن (فرض Hypothesis ثبت صحته) ، وهي كلمة يونانية معناها فرضية Supposition وتعني في الإنجليزية تخمين Guess . ويمكن أن نقول أنها عبارة عن (مجموعة فروض مرتبطة منطقياً وظيفتها شرح موضوع بحثها) . ونحن حين نقول (نظرية القيم) مثلاً فإننا نعني مجموعة من المشكلات التي تربطها بعضها البعض علاقات معينة ، وتعني النظرية كذلك إطاراً من المفاهيم المتحدة المتسقة التي يسودها تنظيم عالي المستوى ، وتعني كذلك مجموعة من الفروض التي تحققت والتي ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً ، وتقوم النظرية بالوصف والتنبؤ والتفسير .

١٣ - ويعرف محمد سيف الدين فهمي[١٦] : النظرية في معناها العلمي فرضية أو مجموعة من الفرضيات المتناسقة المرتبطة منطقياً بشرح أو تفسير ظاهرة معينة أو هي نظام من المفاهيم ذو حد أقصى من التجريد وتستعمل في توحيد وتنظيم مجموعات من القوانين التي لم يكن بينها نظام استنباطي واحد أو هي بناء عقلي لمجموعة من المفاهيم الخاصة بظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر المتشابهة .

١٤ - ويعطي دي ـ جي ـ أوكونور[١٧] معاني مختلفة للنظرية :

١- في بعض الأحيان تستخدم الكلمة ، كما هو الحال في الفلسفة ، لتعني﴿مجموعة من المسائل المتصلة﴾ لا أكثر . وهذا هو المعنى الذي يقصده الفلاسفة عندما يتحدثون عن ﴿نظرية المعرفة﴾ أو ﴿نظرية القيم﴾.

---

(14) أحمد زكى بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨١، ص ٤٢٤

(15) نبيه محمد حموده : التأصيل الفلسفي للتربية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥

(16) محمد سيف الدين فهمي : النظرية التربوية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢ ، ص ١٤

(17) دي ــ جي ــ أوكونور : مقدمة في فلسفة التربية ، ترجمة / محمد سيف الدين فهمي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢ ، ص ص٩٥- ٩٦

٢- قد تستخدم هذه الكلمة أيضاً لتعني إطاراً تصورياً على درجة عالية جداً من التنظيم والوحدة له علاقة ضعيفة أو لا علاقة له إطلاقاً بأي نشاط عملي . فمثلاً يتحدث الرياضيون عن نظرية الأرقام .

٣- في الحديث العادي عندما نقابل النظرية بالتطبيق ، نقصد بالنظرية مجموعة أو نسقاً من القواعد أوجمعاً من المدركات الحسية التي توجه أوتحكم مختلف أنواع الأفعال، وفي بعض مجالات العمل تكون الخلفية النظرية أكثر فائدةً وضرورةًعن مجالات أخرى .

٤- يوجد معنى فني أو اصطلاحي بدرجة أكبر لكلمة ﴿ نظرية ﴾ ، من المفيد أن نشير إليه ، لأنه معنى يقدم لنا مقاييس يمكن بواسطتها أن نقدر القيمة والفائدة لكل مطالب بلقب (النظرية) . وبالأخص فإن هذا المعنى للكلمة سوف يجعلنا قادرين على الحكم على قيمة النظريات .

ونستخلص مما سبق أن كلمة ﴿ نظرية ﴾ لها معاني مختلفة ، ولا نجد لها معنى محدداً ، على أنها تستخدم في معظم الأحوال للدلالة على أمرين : الأول فرضية تم التحقق منها عن طريق الملاحظة والتجربة ، والثاني وهو الأكثر شيوعاً ـ مجموعة مترابطة من مثل هذه الفرضيات التي تم التحقق منها ، والتي تكون فيما بينها نظاماً منسجماً منطقياً .

كما يمكن أن نستخلص مما سبق أن هناك تبايناً بين المفاهيم الخاصة بالنظرية يصل إلي حد التعارض ، مع إمكان استنتاج بعض نقاط الالتقاء بينها ، والتي تمثل حداً أدنى مقبولاً بين المهتمين بهذا الموضوع ، ومن ثم يتحدد مفهوم النظرية العلمية في كونها نسقاًفكرياً استنباطيا متسقاً حول ظاهرة أو مجموعة من الظاهرات المتجانسة بحيث تمثل إطاراً تصورياً و مفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الوقائع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى كما إنها ذات بعد تطبيقي ، بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته ، فضلاً على أنها تساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال عدد من التعميمات المرجحة[١٨].

(ب) شروط النظرية:

يذكر محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون [١٩] أن هناك شُرُوطاً للنظرية وهى :

١- ضرورة أن تكون مكونات النظرية واضحة دقيقة ، محددة الألفاظ والمعاني والمضامين .

---

[18] سعيد إسماعيل علي : الأصول الفلسفية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٠ ، ص٢٢٧.

[19] محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون : مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧، ص ١٥.

٢- أن تعبر عما تشتمل عليه النظرية بإيجاز تعبيرا يوضح هذه المشكلات ، ويبين غرض النظرية عموماً وأهداف كل مكون من مكوناتها .

٣- أن تكون النظرية شاملة بقدر الإمكان للجوانب التي قصد أن تنطوي عليها النظرية بما في ذلك وصف ، وتحليل ، وتفسير الحقائق المعينة .

٤- أن تكون النظرية متفردة في موضوعها وفروعها التفسيري ؛ ذلك لأن وجود نظرية أخرى تدرس نفس الموضوع ، وتفسره بنفس العوامل والطرق يضعف النظرية ، ويجعلها تكراراً لا مبرر له يتنافى مع قاعدة الاقتصاد العلمي .

٥- أن يكون للنظرية أرضية من ناحية ، وأن تكون قابلة للاختبار العلمي الذي يكسبها مشروعيتها العلمية من ناحية أخري ، فالنظرية التي تأتى بقضايا تستعصي على الاختبار لا تعد نظرية علمية .

٦- يعد شرط وجود قدرة تنبؤية في النظرية شرطاً أساسياً ؛ فالنظريات التي تقف عند مجرد الوصف تفيد لكنها تعد ناقصة .

(ج) أبعاد النظرية :

ويروى جدعون جوبرج Giodeon Joberg وروجر نيت[٢٠] Roger Nett أن النظرية العلمية لها ثلاثة أبعاد رئيسية :

(١) الشكل أو البناء المنطقي .

(٢) المضمون ؛ أي التعميمات المتعلقة بطبيعة الظاهرات التي تدرسها .

(٣) الافتراضات المتعلقة بالمنهج الذي يستخدم في جمع الوقائع وطبيعة المادة التي يرسمها العلم .

إذا كان هذا عن مفهوم النظرية بصفةٍ عامة ، فننتقل إلى مفهوم النظرية في التربية .

---

[20] Joberg; Giodeon & Nett,Roger, (1968). A Methodology for Social Research, New York, Harper of Row,pp.30-31.

ثانياً : مفهوم النظرية التربوية

(أ) تعريفات النظرية التربوية

١ - يعرفها معجم المصطلحات التربوية [٢١] : بأنها دراسة أكاديمية تتعامل مع المبادئ والمعطيات في فروع المعرفة والممارسة مثل علم النفس وعلم الاجتماع و الفلسفة والتاريخ ، لتنتج معطيات تربوية أو لتكتشف موضوعات تربوية ، وصفها العالم هيرست Hirst كمشروع كلى في بناء هيكل من المبادئ المنطقية للممارسة التربوية ، كمحاولة لتشكيل نظرية كاملة اعتمادا على المصادر المتوافرة في المعرفة ، وتدرس نظرية التربية حالياً بعدة طرق كمبادئ منفصلة في سياق المشكلات الحقيقية أو على أساس موضوعي .

٢ - و يعرف أحمد حسين اللقانى [٢٢] : النظرية التربوية بأنها تصف العمليات والإجراءات التي يجب القيام بها ، وتقدم من التوجيهات ما يفيد عملية التربية من وجهة نظر معينة ، وهذا يعنى أن النظرية في التربية أكثر تعقيداً منها في مجال العلوم الطبيعية ، وتشتمل النظرية في التربية على نوع من المسلمات تختلف عما تشتمل عليه النظرية في مجال العلوم الطبيعية ، فهي مسلمات تختص بالأهداف المرغوبة والمتعلم وطبيعة المعرفة وفاعلية الطرق المختلفة ، والنظرية التربوية تصف مجموعة من الأنشطة التي تحدث في عملية التربية مثل التدريس ، والإقناع ، وإثارة الدوافع ، والتعلم ، والاختيار ، ومن ثم فهي تصميم لبلوغ أهداف معينة ، وتعطى من التوصيات ما يساعد على الممارسة .

٣ - ويعرفها مقداد يالجن [٢٣] : بأنها مجموعة من المفاهيم التربوية التي تقوم على مجموعة من المرتكزات الفلسفية أو الدينية أو الاجتماعية أو جميعها من المعطيات الثقافية والعلمية ومجموعة من الأهداف التي يمكن في ضوئها أن تفسر كل العمليات التربوية المنتظمة نظرياً ومنهجياً ونظامياً .

٤ - و يعرفها إبراهيم بسيونى عميرة [٢٤] : بأنها مجموعة من المصطلحات والاقتراحات والمنشآت العقلية الأخرى ، المترابطة منطقياً ، والتي تمثل نظرة نظامية على الظواهر التربوية ، والنظرية التربوية تصف الظاهرة (أو الظواهر) ، كما أنها تخدم كسياسة لتوجيه العمل واتخاذ القرار.

---

[21] رمزي كامل حنا الله ، وآخرون : معجم المصطلحات التربوية ، إنجليزي / عربي ، لبنان ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٨، ص٣٤٤.

[22] أحمد حسين اللقاني : المناهج بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٩ ، ص ٥٤.

[23] مقداد يالجن:معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،١٩٩١، ص١٧

[24] إبراهيم بسيونى عميرة : المنهج وعناصره ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩١، ص ٥٤.

٥ - ويعرفها محمد لبيب النجيحي[٢٥] : بأنها تعني إطاراً من المفاهيم المتسقة المنظمة المرتبطة فيما بينها والتي تتصل بالميدان العملي التعليمي ، أي أنها تطبق على العملية التربوية ، ويمكن أن نقول أيضاً إنها مجموعة من الفروض التي تحققت والتي ترتبط فيما بينها ارتباطا منطقيا.

٦ - يعرفها محمود قمبر[٢٦] : بأنها مجموعة من الأفكار المتسقة أو المنظمة ، ينتجها التأمل ، والخبرة وتصوغ مادتها في سياق تحليلي ، وداخل إطار من المبادئ والمفاهيم الموجهة والهادية ، فهي إذن ليست مجرد تأملات استغراقية أو استنباطية ، وليست مجرد مباحث أكاديمية Speculations قد تكون قيمة ، في حد ذاتها ، ولكنها تصبح كالأفكار الفلسفية المجردة التي تحلق في سماء الشطح الفكري ، ولبعدها وعلوها لا ترسل لنا غير ضوء خافت لا نتبصر فيه حقائق الواقع ، وليست مجرد مصدر للحكم الإنسانية المطلقة Axiomes إنها على العكس نظرية مشبعة بالروح الأمبيريقية ، والملاحظة الكشفية ، والممارسة العملية ، وقد ارتبطت بها تعميمات وتجارب وخبرات متآزرة تؤكد صحتها العلمية وتخرج بها عن حدود الظن أو الخيال أو الرأيية Opinionite.

هكذا اتفقت التعريفات السابقة عن النظرية التربوية على أنها نسقٌ من الأفكار المترابطة، ولكنها لم تعط تصوراً متكاملاً عن بنية النظرية التربوية، باستثناء ت.مور الذي أعطي تصوراً متكاملاً عن بنية النظرية التربوية و مدى علاقتها بالفلسفة ومن ثم اعتمد عليه الباحث في دراسته لقناعته بتكامل هذا الإطار وشموله وتوافقه مع ما كتبه باولو فريري عن النظرية التربوية بصفة عامة، ويفيد هذا الإطار في بيان المقومات الأساسية التي ينبغي أن تشتمل عليه أية نظرية تربوية جيدة .

وإذا قرأنا كتاباً عن النظرية التربوية أو تاريخ الفكر التربوي نجد أن هناك ثلاثة أنواع مختلفة من التعبيرات قد وضعت كأساس للتطبيق التربوي[٢٧]:

١- النوع الأول: (ميتا فيزيقي) ويظهر هذا النوع في كتابات أفلاطون التربوية والمدرسيين في العصور الوسطى ، ولعل من دواعي صعوبة هذا النوع أننا لا نملك الوسائل المعروفة لتأكيده .

---

(25) محمد لبيب النجيحي : مقدمة في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ ، ص٣٥.

(26) محمود قمبر : ذاتية الطفل السليمة والنظرية التربوية في الإسلام ، دراسات في التربية الإسلامية وأصولها النظرية والفلسفية ، المجلد التاسع ، جامعة قطر ، مركز البحوث التربوية ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٠.

(27) دي ــ جي ــ أوكونور : مقدمة في فلسفة التربية ، ترجمة / محمد سيف الدين فهمي ، مرجع سابق ، ص ص١٢٩ ، ١٣٢.

٢- النوع الثاني: من التعبيرات التربوية (قيمي) ويحتوي على الأحكام القيمية. Judgments of Values **، وهذه القيم** Values **ضرورية لكل نظام تربوي .**

٣- النوع الثالث: من التعبيرات فهو(الحسي التجريبي)، ذلك النوع الذي تؤيده الملاحظات العملية، ويحوي عبارات قد تضم توصيات للتطبيق التربوي، وهذا يتمثل في كتابات التربويين الذين عاشوا قبل أن يصبح علم النفس علماً تجريبياً، وهذه التوصيات كانت تقوم على أساس نظري سليم ، ولكن اقتباسها كان على أساس أنها تعطي نتائج عملية، والواقع أن حقل النظرية التربوية يتسع بلا حدود، ولا يرجع ذلك فقط إلى تعدد الموضوعات والمسائل المعقدة التي يتضمنها ، فهي ـ مهما كانت كثرتها و تعقيداتها ـ ذات نهاية، ويمكن مع الجهد الدءوب حصرها، ولكن يرجع ذلك إلى طبيعة التربية كنظام مفتوح حي ومتفاعل، متجدد ومتغير، وفي استمراريته تنوع لا حد له ، يأتي به الإنسان والزمان عبر العصور المتقلبة في نهج الحياة[٢٨] .

(ب) شروط النظرية التربوية

ويذكر تيودور براميلد[٢٩] Theodore Brameld **أن تبنى نظرية تربوية لابد أن يستند إلى:**

١- التحليل المنطقي	**٢- الواقعية الاجتماعية**
٣- نظرية للوجود	**٤- الإبداع**
٥- الإدراك الاجتماعي	**٦- التطور**

ومن جانبها ، ذكرت مارجريت سوزرلاند[٣٠] Margret Sutherland **أن هناك خاصيتين للنظرية التربوية و هما:**

١- أن تتضمن حدودا لأنواع التجارب التي تجرى على الكائنات الحية .

٢- احتوائها على أحكام قيميه ، فهي ليست جملة تقريرية ولكن تسعى إلي ما يجب أن يكون.

٣- كما يضيف كل من فوزي طه إبراهيم، ورجب أحمد الكلزة[٣١] خاصية أخري للنظرية التربوية أنها توجيهية فالنظرية التربوية توجه وسائل وطرق التحكم في العملية التربوية،

---

(28) محمود قمبر : ذاتية الطفل والنظرية التربوية في الإسلام ، دراسات في التربية الإسلامية وأصولها النظرية والفلسفية ، مرجع سابق ، ص١٧٩.

(29) Brameld, Theodore, (1965). Education as Power, Student Edition, Fawcett Publications, INC., New York,p.51.

(30) Sutherland,Margaret.(1988).Theory of Education,The Effective Teacher Series, Longman, London and New York,pp.3- 4.

(31) فوزي طه إبراهيم ، رجب أحمد الكلزة : النظرية التربوية ، السعودية ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٩٨٦ ، ص٣١.

كما تأخذ في اعتبارها ثقافة التلميذ ، وهو مبدأ تربوي ، ولا تقتصر على تزويدنا بالمعرفة فقط ، بل تعطينا رؤية واضحة للأهداف التي تصبو إلى توجيه وترشيد العملية التعليمية من وقت لآخر.

٤- وقدم عبد الله عبد الدايم[٣٢] خاصية رابعة للنظرية التربوية السليمة ، فهي غالباً في علاقة جدلية مع الممارسات التربوية التي تتصدى لها ، وبينهما تغذية راجعة متبادلة ومثل هذه النظرية التي ترتد في النهاية إلى فلسفة التربية ، ووظيفتها تكمن في إرشاد وتوجيه الممارسات التربوية فالنظرية يتم تعديلها عن طريق الممارسة ، وتقويم الممارسات .

ونرى أن النظرية التربوية عندما تكون فعالة فإنها يجب أن تقدم بوضوح الافتراضات والأهداف الأساسية التي من أجلها يتم بناء مشروع تربوي متكامل يمكن تطبيقه ، يمكن المعلم من أن يستوعب المعاني الأساسية في التربية مثل التعليم ، والثقافة ، والقيم التي تؤدى إلى الالتزام بمبادئ معينة توجه أداءه المهني .

(ج) الفرق بين النظرية التفسيرية والنظرية العملية :

قد فرق ت . مور[٣٣] بين نوعين من النظرية هما :

- النظرية التفسيرية : هي فرض أو مجموعة مترابطة من فروض تثبت صحتها عن طريق المشاهدة والتجربة .

- النظرية العملية : هي مجموعة من المبادئ أو القواعد والمفاهيم المترابطة التي توجه وترشد مختلف أنواع الممارسات والأعمال في المجال التربوي . كما أوضح ت .مور [٣٤] الفرق بينهما كالآتي :

أ- إن النظرية التفسيرية في الأصل وصفية وتفسيرية ، فهي تصف وتفسر الظواهر بعد تكرار حدوثها على نمط معين ، والوصف والتفسير يوضحان علاقة سببية بين أحداث معينة ، وهى لا تصدر حكماً خلقياً تجاه ما تصفه وتفسره ، والعالم الذي يفسر ويصف ليس مطالباً ولا ملزماً بإصدار حكم عن كيفية الاستفادة مما فسره أو وصفه . والسؤال الذي يطرح هنا هو : ما فائدة نظرية في التربية لا تصدر أحكاماً خلقية ولا توجيهات تربوية ؟ أما النظرية العملية فهي ليست وصفية ولا تفسيرية في الأصل ، و يمكن أن تصف وتفسر بعض جوانب من العملية التربوية ، و لكن عملها الأساسي هو إصدار التوجيهات التربوية والأحكام الخلقية .

ب- تتعامل النظرية التفسيرية مع عالم الطبيعة ، ومع العالم المحسوس فقط ، فالمادة التي يُجْرِي عليها العالم تجاربه وملاحظاته ميتة ، مما يجعل حواس العالم الملاحظ سلبية تتحكم فيها المادة

---

(32) عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، لبنان، بيروت، إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠ ، ص ٨٠.

(33) ت . مور : النظرية التربوية ، ترجمة /محمد أحمد الصادق ، عبد الحميد عبد التواب شيحه ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٦ ، ص١٨.

(34) المرجع السابق ، ص ص ١٨ ، ٢٥.

تحكماً تاماً ، أما النظرية العملية فهي تتعامل مع الإنسان بروحه وقيمه ومشاعره وسلوكه وعواطفه وآماله وآلامه . وهذه كلها لا تكشف عن نفسها على حقيقتها للباحثين . فالإنسان بهذا التعقيد لا يمكن أن يُسَاوَى بالجماد . وإذن فإنه في تربيته لا يحتاج إلى النظرية التفسيرية ، بل هو في حاجة ماسة إلى النظرية العملية ، لتقدم له النصح والإرشاد والتوجيه ، وتخبره بما ينبغي أن يفعل .

ج – النظرية العملية تعطى علم النفس التربوي وعلم الاجتماع التربوي مكانةً مرموقة في النظرية التربوية ، وتجعلهما أساساً لها ، وتقلل من أهمية ما سواهما . ولا ينكر أحد أهمية هذين العلمين في مجال التربية ، حيث أن لهما فوائد ملموسة تتجلى فى مساعدتنا على فهم المتعلم ، وفهم المجتمع الذي يعيش فيه ، وتحسين طرق التدريس ، وكل ذلك يسهل عملية التعلم ، ويقوى العلاقة بين المعلم والتلميذ وبين التربية والمجتمع ولم يذكر مور شيئاً بالنسبة للنظرية التفسيرية .

د – ويقدم جورج بوشامب[٣٥] اختلافا آخر بين النظريتين قائلاً : النظرية التفسيرية عادةً ما تتكون من مجموعة من الفرضيات التي يرتبط بعضها البعض ارتباطا منطقياً قد يتم فيها توضيح علاقات واشتقاق معلومات جديدة عن طريق عمليات استنتاجية . وعلى النقيض من ذلك ، فالنظرية العملية تتكون من مجموعة من الاقتراحات للتصرف أو السلوك أو مجموعة من الافتراضات Propositions عن مجموعة من المشكلات المرتبطة ، وفي مجال النظرية التوجيهية تمارس الفلسفة تأثيرها .

و نخلص مما سبق إلى نتيجة مفادها أنه إذا كانت النظرية التفسيرية وصفية في الأساس ، فإن وظيفة النظرية العملية – كما يقول ﴿بول هرست﴾ – هي التشخيص والعلاج ، وإذا كانت النظرية التفسيرية تحاول وصف وتفسير ما هو قائم ، فإن النظرية العملية تصف وتقرر ما ينبغي عمله مع الناشئة، وتوجه وترشد الممارسات التربوية ، ومن هذا المنطلق فإن ﴿بول هرست﴾ وغيره من المربين الغربيين الذين يرفضون بناء النظرية التربوية على النمط العلمي يدعوننا إلى إعطاء الفلسفة دوراً رئيسيا في بناء النظرية التربوية ، لأنها تمدنا بالقيم التي نريد غرسها في الناشئة[٣٦]. وهذا يدعونا إلى بيان العلاقة بين النظرية التربوية والفلسفة .

ثالثاً : علاقة النظرية التربوية بالفلسفة

يوضح ت.مور[٣٧] هذه العلاقة بأن التربية مؤلفة من طائفة من الأنشطة التي تؤدى علي مستويات مختلفة ، كالبناء المؤلف من أكثر من طابق ، ففي الطابق الأول يوجد مختلف الأنشطة التعليمية كالتدريس ، والتعلم ، والتدريب ، والمشاهدة ، والعقاب وغيرها من الأنشطة التي توجد

---

(35) جورج بوشامب : نظرية المنهج ، ترجمة / ممدوح محمد سليمان ، و آخرون ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

(36) ت . مور: النظرية التربوية ، ترجمة / محمد أحمد الصادق ، عبدالمجيد عبدالتواب شيحة ، مرجع سابق، ص ص ٢٠ ، ٢١

(37) المرجع السابق ، ص٢٢

في الفصول في كل مكان ، و في الطابق الثاني ـ الطابق الأعلى ـ توجد النظرية التربوية التي اعتبرها مجموعة من المبادئ والإرشادات التي تهدف إلي التأثير فيما يوجد في الطابق الأول . وفي الطابق الأعلى منه توجد فلسفة التربية التي تهدف إلي توضيح المناهج المستخدمة في الطوابق الأدنى ـ مفاهيم مثل التربية والتدريس .

ويهمنا في هذه الدراسة الحالية عرض بنية الطابق الثاني الخاص ببنية النظرية التربوية كما عرضها ت . مور ، وتحليل النظرية التربوية عند فريري على ضوء هذا التصور الذي قدمه مور .

رابعاً : بنية النظرية التربوية

قدم ت. مور[٣٨] تصورا متكاملا عن النظرية التربوية، وتتحدد بنيتها بشكل مبسط كالآتي:

١- أ غاية مرغوبة .

٢- ب هي أفضل الوسائل المعينة على بلوغ أ في ظل ظروف معينة .

٣- افعل كل ما تشتمل عليه ب .

وقد يشتمل فعل (ب) في الواقع على فعل أشياء كثيرة اعتماداً على طبيعة النظرية . وفيما يتعلق بنظرية تربوية ما قد يتجزأ (ب) إلى عدد لا منتاه من الأنشطة الدراسية ، كالتدريس وإدارة التلاميذ ، وحفزهم أو إثارة اهتماماتهم ، وتشجيعهم ، وقد اشتملت البنية على أنواع من الافتراضات نعرضها فيما يلي :

(أ) افتراضات عن أهداف التربية :

تحتوي النظرية التربوية على افتراضات خاصة بالهدف ، أو الأهداف التي يراد تحقيقها . فالتربية وسيلة اجتماعية تهدف إلى تحقيق غايات مرغوبة ، وأية نظرية عامة في التربية سوف تشتمل على افتراضات قيميه خاصة بالأهداف ، وتتخذ هذه الأهداف صوراً شتى فقد تكون أنماطاً للشخصية يراد البلوغ إليها ، أو أنماطاً للمجتمع يراد تحقيقها ، أو أنماطاً تجمع بين هذين النوعين[٣٩].

(ب) افتراضات عن الطبيعة الإنسانية :

كما تحتوي النظرية التربوية على افتراضات خاصة بالأشخاص الذين نسعي إلي تعليمهم . و أية نظرية عامة في التربية تحتاج إلى صياغة بعض الافتراضات عن طبيعة الأطفال . ومن الافتراضات الأساسية فيما يرى مور أن سلوك الإنسان مرن إلى حد كبير ، وأن ما ندرسه للأطفال سوف يكون له تأثير عليهم . فإذا ولد الأطفال مزودين بأنماط سلوكية ثابتة ، فلا يكون للتربية معنى ، وإذا قبلنا افتراض مطاوعة الشخصية الإنسانية ومرونتها فقد نفترض افتراضات أخرى تترتب عليها مثل إمكانية إفساد الأطفال أو البلوغ بهم إلى الكمال .

---

(38) المرجع السابق ، ص ٣٤

(39) المرجع السابق ، ص٣٦.

(ج) افتراضات عن طبيعة المعرفة وطرق التعليم :

إن أية نظرية عامة في التربية تشتمل على افتراضات تتعلق بما ينبغي تعلمه وأنسب الطرق المعينة على تعليمه، ومن الافتراضات التي تتعلق بالمعرفة أن المعرفة الإنسانية ممكنة أو مستحيلة، أو أن هناك أنواعاً من المعرفة عن افتراضات أخرى خاصة بطرق التعليم ، و من الواضح أن تلك الافتراضات عن المعرفة يمكن أن تؤثر على أية إرشادات عملية يقدمها المربون ، كما أن نوع المعرفة الذي نعتبره مهما يؤثر على اختيارنا لطرق التدريس المفضلة ، فإذا افترضنا أن المعرفة الرياضية أفضل أنواع المعرفة فإننا نميل إلى تفضيل الطرق الاستدلالية في التعليم . وإذا افترضنا أن المعرفة الطبيعية هي أفضل أنواع المعرفة اعتمدنا على الملاحظة والتجربة باعتبارها أفضل طرق التدريس .

خامساً : موقع النظرية التربوية عند باولو فريري

احتلت النظرية التربوية عند باولو فريري مكانة مرموقة وتبلورت من قراءاته المتعددة و خبراته الواسعة ، وهذا ما اتضح عبر أدلة جمعها الباحث سواء من مؤلفاته العديدة ، أو ما كتب عنه ، نذكر منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

– في كتابه﴿رسائل إلي كرستينا Letters To Cristina﴾ أكد فريري[٤٠]على العلاقة بين النظرية والممارسة ، حيث يقول : إن الممارسة في حاجة إلي نظرية توجهها وترشدها ، والنظرية في حاجة إلي ممارسة لتطبق ما لديها من فكر ، مثلما يحتاج السمك إلي مياه نقيه يعيش و يتغذى عليها ، فالممارسة لا تنفصل عن التأمل النقدي الذي يضيء للنظرية العقبات الموجودة في الممارسة ، ولا يكتمل فهمنا إلا بالكشف عن هذه العقبات .

– في كتابه﴿الفعل الثقافي من أجل الحرية Cultural Action for Freedom ﴾ يذكر فريرى[٤١] :أن ثقافة الصمت التي كانت سائدة في البرازيل هي التي دفعته إلى تطبيق طريقة تعلم القراءة والكتابة للكبار بأسلوب غير ميكانيكي وأن النظرية التربوية لديه تولدت في رحم ثقافة الصمت من خلال الممارسة الواعية وليس من الصوت المتداعي الخافت لهذه الثقافة .

– وفي كتابه﴿تربية الحرية Pedagogy Of Freedom ﴾ يقول فريري[٤٢] :إن أية ممارسة تتولد من نظرية توجهها ، فممارسة الطهي تتطلب أنواعاً من المعرفة المسبقة عن الموقد ، ودرجة

---

(40) Freire,P.(1996).Letters to Cristina;Reflections on My Life and Work, Trans. Donaldo Macedo,Quilda Macedo and Alexandre Oliveira Routledge, New York& London, pp.107-108

(41) Freire,P. (1970).Cultural Action for Freedom,Published by Harvard Education Review, Monograph Series,No.1,Massachutsetts, p. 4

(42) Freire,P. (1998).Pedagogy of Freedom, Tans.Patrick Clarke, Rowman & Littlefield Publishers, INC, Lanham, Boulder, New York, Oxford,pp. 29-30

الحرارة ، ومن خلال الممارسة ، تمتحن المعرفة وتؤكد أو تعدل أو يضاف إليها ، فالتأمل النقدي في الممارسة هو مطلب ضروري للعلاقة بين النظرية و الممارسة ، وإلا أصبحت النظرية شيئاً ليس له قيمة ، و أصبحت الممارسة فعلاً ميكانيكياً فقط .

– وفي كتابه﴿تربية المدينة Pedagogy Of City ﴾ يقول فريري[٤٣]: إن النظرية لا يمكن أن تنفصل عن الممارسة . فالنظرية ضرورة لا غني عنها لتغيير العالم . وفي الحقيقة ليس هناك ممارسة لا تملك بناء نظريا ، وفي الواقع : بدون نظرية ، فإننا نفقد أنفسنا في منتصف الطريق ، ولكن من جهة أخرى بدون ممارسة ، فإننا نفقد أنفسنا في الفراغ . إنه فقط ، من خلال العلاقة الجدلية التناقضية بين الممارسة والنظرية : نستطيع أن نجد أنفسنا ، وحتى لو فقدنا أنفسنا ، أحيانا ، فإننا سوف نسترد أنفسنا في النهاية .

– وفي كتابه﴿تعليم المقهورين﴾ يؤكد فريرى[٤٤] : أن ليس هناك ممارسة بدون إطار نظري لها ، ويقول : إن العمل لا يمكن أن يحقق مغزاه إلا إذا انطلق من رؤية واضحة ، وبدون ذلك يصبح مجرد ضرب من الحماس .

– و في كتابه﴿تربية الأمل Pedagogy of Hope﴾ يذكر فريري[٤٥] أنه ناقش عناصر النظرية العملية للكفاح كثيراً مع رؤساء الفرق الذين تقابل معهم في مناسبات عديدة في جنيف و إيطاليا .

– ويذكر مورای كوكس[٤٦] في حواره مع فريري عندما بادره بالسؤال الآتي : متى بدأت في تكوين نظرية تربوية خاصة بك؟ ﴿ فأجاب فريري قائلاً : لقد عملت لمدة خمسة عشر عاما في مجال تصميم البرامج التعليمية للكبار في المناطق الريفية والحضرية ، وكنت مساهماً في مشروع تعليم الكبار في الحركة الثقافية الشعبية في ريسايف ، وعندما تولى المجلس العسكري الحكم في البرازيل بعد انقلاب ١٩٦٤ ، تم اعتقالي و إيداعي السجن . وقبل ذلك ، كنا قد بدأنا في تنظيم جماعات أسميناها الحلقات الثقافية ، وكان لدينا منسقون بدلاً من المدرسين ، و حوارات بدلاً من المحاضرات ، ومشاركون بدلاً من التلاميذ ، كنت أرغب في تصميم برنامج يكون المشاركون فيه فاعلون وليسوا متلقين . أتذكر أننا عرضنا في أحد المرات زهرية وبها زهور ، ودارت المناقشة حول ما يطرأ على المواد الطبيعية نتيجة لعمل الإنسان ، فقالت إحدى السيدات بانفعال إنني أصنع حضارة ، فأنا أعرف كيف أفعل ذلك ﴾ ،وأخرى قالت : إن الزهور تمثل الطبيعة ، أما الزخارف

---

[43] Freire,P. (1993).Pedagogy of the City, Trans.Donald Macedo,The Continuum, New York,p.132

[44] باولو فريرى: تعليم المقهورين، ترجمة/ يوسف نورعوض، لبنان، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٠ ، ص٤٥.

[45] Freire,P., (1996). Pedagogy of Hope; Reliving Pedagogy of the Oppressed ,Trans. Robert R. Barr, The Continuum, New York ,p.121

[46] مورای كوكس: حوار مع باولو فريري ، مجلة "أومنى " الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، أبريل ، ١٩٩٠، ترجمة/ سها حسن، نشرت هذه الترجمة في مجلة جسور، العدد الثاني،سبتمبر ، ١٩٩٩ ، ص٣٢

فتمثل الحضارة ، إن التعليم لا يحمل أي معنى إلا إذا بدأ الشخص الأمي في تأمل وضعه في هذا العالم، وعمله ، وقدرته على تغيير هذا العالم ، هذا هو الوعي ، إنهم يكتشفون أن العالم ملك لهم، وليس ملكاً لطبقة مهيمنة .

– ويذكر هنري جيرو[٤٧] : إن فريرى قد نمّت لديه نظرية عن الممارسة متجذرة في الخبرة الملموسة ، و المعاشة عن طريق الاستماع والتعلم ؛ مع المقهورين ، وهى نظرية تقوم على ضرورة التفاعل الحواري في ديناميات الحياة اليومية ومشكلات المقهورين داخل سياق التحول الاجتماعي الثوري .

– كما يذكر هنري جيرو[٤٨] عن علاقة النظرية بالممارسة عند فريري : أنه ليس هناك سياق نظري إذا لم يكن في وحدة جدلية مع سياق الواقع المحسوس ، وبدلا من مطلب انهيار النظرية في الممارسة ، فإن فريري يجادل عن مسافة معينة بين النظرية والممارسة ، إنه يري النظرية كأمر توقعي بطبيعتها ، ويجادل إنها يجب أن تأخذ مفهومات : الفهم والإمكانية كمفهومات مهمة مركزية لها .

– وفي موضع أخر يقول جيرو[٤٩] ملخصاً : إن النظرية لا تملى الممارسة ، إنها بالأحرى تهدف للإمساك بالممارسة من أجل الفهم النقدي لنوع الممارسة (Praxis) المطلوب داخل موقف معين ، في حقبة معينة من التاريخ ؛ فليس هناك تطلع لقوانين عالمية ، أو ضرورة تاريخية ، إن النظرية تنبثق من سياقات خاصة وأشكال من الخبرة ؛ من أجل اختبار هذه السياقات نقدياً ، ومن ثم الدخول على قاعدة من الممارسة الواعية النشيطة .

– ويؤكد ف.أورتيجا[٥٠] F. Ortega إن فريري لديه نظرية تربوية نتجت من الممارسة بقوله : أن هذه النظرية (يقصد النظرية التربوية) تشير إلي تأملات خرجت من خبرات ليست من داخل النظام التعليمي للجامعة فقط ، بل من داخل البيئة التربوية بشكل أوسع ، و نتجت في اللحظة التي يؤسس فيها الأستاذ حوارا ، أو علاقة جدلية مع طلابه .

– وذكرت أنا ماريا دي أورجوا فريري[٥١] Ana Maria De Arauja Freire :أن فريري بنى نظريته في التدريس من الصعوبات التي واجهته في الحياة ، ومعرفته السابقة عن التعليم ، ومن هذه الممارسة مع عمال المناطق الساحلية والحضرية والريفية ، أوجد نظرية جديدة عن المعرفة ،

---

(47) Giroux,H.,(1985).Introduction, In, The Politics of Education ;Culture, Power and Liberation, by Freire,P. Trans. Donaldo Macedo, Bergin & Gravery Publishers,INC.,Massachusetts,Op.Cit.,p.XXIII

(48) Ibid., p.XXIII

(49) Ibid., p.XX III

(50) Escobar, Migual et al. with Paulo Freire. (1994).Paulo Freire On Higher Education,A Dialogue at The National University of Mexico, Albany, State University of New York Press,pp.94-95

(51) Ana Maria De Arauja Freire. (1995). Literacy in Brazil :The Contribution of Paulo Freire, In,"Paulo Freire at the Institute", by Maria de Figueiredo-Cowen and Denise Gastaldo Institute of Education, University of London, p. 28

وأن ليس هناك نظرية حيادية للمعرفة ، وعمل على إعادة خلق طريق جديد لهؤلاء الذين يرغبون في الكتابة .

– ويؤكد هارولد رينولدس[52] Harold Raynolds في مقدمة ترجمته لكتاب فريرى ﴿ تربية المدينة Pedagogy of The City ﴾ : أن فريرى وضع نظرياته في الممارسة وواجه كفاحاً مريراً لحصول على موارد لخلق نوع من التعليم يناسب الصغار . و بالنسبة إلي ، ليس هناك من سبيل للرفع من شأن ، أو الحط من شأن ، واحدة منها ، أو الأخرى ، إن إحداهما تتضمن الأخرى ، في علاقة جدلية تناقضيه ضرورية ، فالممارسة ، في ذاتها ، وفي موقفها المضاد الرافض للتأمل النظري ، وعلى الرغم من أهميتها ، ليست كافية لتقدم معرفة تفسر لي ، وتشرح العلة الوجودية الكائنة في المفعولات ، الممارسة – بذاتها ، لا تمثل نظرية عن نفسها ، ولكن بدون الممارسة ، فإن النظرية تقع في خطر تضييع الوقت ، والقضاء على صلاحيتها الذاتية ، وإمكانية إعادة صنع نفسها ، وفي التحليل النهائي : النظرية والممارسة في علاقتهما ، يصبحان ضرورة متبادلة ، حيث تكمل إحداهما الأخرى ، وبهذا المعني ، تنشأ دائما في كل ممارسة ، نظرية مخيفة خفية .

– ويضيف هنز بتر جرهارد[٥٣] القول : إننا مدينون لفريرى قبل كل شيء بكونه ابتدع نظاماً تعليمياً ونظرية تربوية ، ووضعهما موضع الاختبار والامتحان خلال السنوات العديدة التي مارس فيها أنشطته في أمريكا اللاتينية ، وقد طورت أعماله في الولايات المتحدة الأمريكية ، وسويسرا وغينيا بساو ، وساو تومى وبرنسيبى ونيكاراجوا ، وفى بلدان أخرى من العالمين الثالث والأول ، ويرتكز نظامه التربوي إلى ملكات الإنسان الخلاقة ، وإلى استعداده للحرية وسط بنى سياسية واقتصادية وثقافية .

– ويعلق ريتشارد شول [54] Richard Shaul في مقدمته للطبعة الإنجليزية﴿تعليم المقهورين ﴾ بالقول : أننا إذا ألقينا نظرة عن قرب ربما نكتشف أن طريقة فريرى و فلسفته التربوية، مهمة لنا فبالنسبة إلى غير المالكين في أمريكا اللاتينية ، فإن كفاحهم لكي يصبحوا فاعلين متحررين يشاركون في تحول مجتمعهم يكون مشابهاً في كثير من الحالات للكفاح ، ليس فقط للسود والأمريكيين المكسيكيين ، ولكن أيضا للطبقة المتوسطة في هذه الدولة ، ربما تمدنا حدة و شدة هذا الكفاح في الدول النامية برؤى جديدة ونماذج جديدة وأمل جديد لكي تواجه مواقفنا الخاصة بنا .

– وعن انبثاق النظرية التربوية لدى فريري من الواقع يذكر حامد عمار[٥٥] بقوله : إن فريري لم يكن فيلسوفاً من أصحاب الأبراج العاجية ولكنه ظل طوال حياته مناضلا مشتبكاً مع الواقع ،

---

(52) Raynolds, Harold, Preface, In, Pedagogy Of The City, by Freire,P., Trans.Donald Macedo,Op.Cit,p.9

(53) هنز بتر جرهارد : باولو فريري (١٩٢١.....) مفكرون من أعلام التربية ، المجلد الأول ، مجلة مستقبليات ، مجلة التربية الفصلية ، المجلد الثالث والعشرون ، مطبوعات اليونسكو ، ١٩٩٣ ، ص ٢٥١ .

(54) ريتشارد شول:مقدمته للطبعة الإنجليزية: تعليم المقهورين،ترجمة/ يوسف نورعوض، مرجع سابق، ص١٣

(55) حامد عمار: مواجهة العولمة فى التعليم والثقافة، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨٢

تلتحم في أفكاره وحدة الفكر والعمل ، وفى توأمة العمل مع الفكر ويقول﴿إننا نصنع الطريق في الأرض بالمشي فيها﴾.

– و عن أهمية نظرية فريري تذكر إلهام عبد الحميد فرج[٥٦]: أنه جعلها أداة للفهم و الوعي والتفكير الناقد ، ومحاولة للتغير وليس من أجل التأقلم ، وقبول الواقع ، دون محاولة لفهمه أو تغيره كما أنه جعل من التعليم وسيلة للمشاركة بين المتعلمين من خلال علاقة إنسانية تربطهم بالواقع المعاش .

– ويقول محمد نبيل نوفل[٥٧] : إن فلسفة فريرى لم تأت نتيجة التفكير والدراسة فقط ، بل ترجع جذورها إلى مواقف محددة تحلل الواقع العملي للجماهير ، ولا تكتفي بالتنظير لهذا الواقع بل تعمل على تغييره وهى كما يقول – ليست فلسفة وضعت في صورة نهائية ، بل هي قابلة للتعديل والإضافة ، مع استمرار التفكير والدراسة والممارسة العملية .

* ويمكن أن نجمل نتائج هذا الفصل فيما يلي :

١. وجود عدة تعريفات للنظرية نظراً لاختلاف وجهات نظر المفكرين .
٢. تأخذ الدراسة بتعريف مور للنظرية التربوية ، والبنية المتكاملة للنظرية التربوية التي قدمها في كتابه ﴿النظرية التربوية﴾.
٣. أوضحت الدراسة أن هناك نوعين من النظرية : النظرية التفسيرية والنظرية العملية ، كما أوضحت العلاقة بين النظرية التربوية والفلسفة .
٤. بينت الدراسة أن بنية النظرية التربوية تشتمل على افتراضات عن أهداف التربية والطبيعة الإنسانية ، وطبيعة المعرفة وطريقة التعليم .
٥. كما أوضحت الدراسة أن لدى فريري نظرية تربوية متكاملة الأبعاد الفلسفية ، ولها محاور تربوية من خلال كتاباته وما كتب عنه .

وأنتقل إلى الفصل الرابع لمعالجة المنابع الفكرية للنظرية التربوية عند فريري .

*****

---

(56) الهام عبد الحميد فرج : الرؤية الفلسفية و المنهجية لباولو فريرى فى محو الأمية كتجربة عالمية وموقفنا من تلك التجربة ، مجلة التربية المعاصرة ، عدد ٣٣ ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، سبتمبر ، ١٩٩٤ ، ص٩١.

(57) محمد نبيل نوفل: دراسات في الفكر التربوي المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٥ ،ص ٨٥